المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس: 4)

ملخص بحث

((القميص في سورة يوسف عليه السلام))

المقدمة :

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد النبيين والمرسلين وعلى اله واصحابه اجمعين وبعد: فهذا البحث مقدم الى المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس: 4) المقام في ماليزيا والموسوم بـ ((القميص في سورة يوسف عليه السلام)) والذي له علاقة بالمحور الثاني من محاور المؤتمر.

وتكمن أهمية البحث في انه بحث جديد في التفسير الموضوعي يجمع بين القديم والحديث، مع بيان معاني القميص ومميزاته؛ اذ تميز القميص في سورة يوسف عليه السلام عن باقي الألبسة في القران الكريم من جهة، وتميزت القمصان المذكورة فيما بينها من جهة اخرى بشكل يبعث على الطمأنينة بان هذا القران من لدن حكيم خبير، بالإضافة الى رصد الشبهات من قبل اهل الكتاب وبعض المعاصرين المتعلقة بالقميص نفسه والرد عليها بالأدلة النقلية والعقلية.

ويهدف هذا البحث الى:

1- دراسة الفاظ القميص الواردة في سورة يوسف عليه السلام ومعانيه وما يترتب على ذلك من احكام مهمة.
2- المقارنة والتدبر بين الفاظ القميص والفاظ الألبسة الاخرى الواردة في آيات القران الكريم.
3- الرد على بعض الشبهات القديمة والحديثة المتعلقة بموضوع قميص يوسف عليه السلام.

وتقوم خطة البحث على الاتي:

المقدمة :

المبحث الاول : التعريف بالقميص في سورة يوسف عليه السلام

المطلب الاول : تعريف القميص لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : التعريف بسورة يوسف عليه السلام

المبحث الثاني : معاني القميص ومميزاته

المطلب الاول : مميزات القميص في القران الكريم

المطلب الثاني : معاني القميص الواردة في سورة يوسف عليه السلام وما يترتب عليه من احكام

المطلب الثالث : الملابس الاخرى الواردة في القران الكريم

المبحث الثالث : شبهات حول القميص

المطلب الاول : قصة قميص يوسف عليه السلام عند اهل الكتاب

المطلب الثاني : رد بعض الشبهات على قصة القميص

المطلب الثالث : التكلف في ادعاء الاعجاز العلمي الحديث في قصة القميص

الخاتمة :

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

أ.د.م. خليل إسماعيل الياس

رئيس قسم التفسير وعلوم القران

كلية اصول الدين – جامعة الانسانية – قدح –ماليزيا

المبحث الاول : التعريف بالقميص في سورة يوسف عليه السلام

المطلب الاول : تعريف القميص لغة واصطلاحا

القميص لغة: جاء في لسان العرب القميص الذي يلبس معروف مذكر والجمع أَقْمِصة وقُمُصٌ وقُمْصانٌ وقَمَّص الثوبَ قَطَعَ منه قميصاً عن اللحياني وتَقَمَّصَ قميصَه لَبسه وروى ابن الأَعرابي عن عثمان أَن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال له إِن اللّه سَيُقَمِّصُك قميصاً وإِنك سَتُلاصُ على خَلْعِهِ فإِياك وخَلْعَه،[1] قال: أَراد بالقميص الخلافة في هذا الحديث وهو من أَحسن الاستعارات.[2]

القميص اصطلاحا: ثوب مخيط يحيط بالبدن معمولا على قدر البدن له كمان وسمي قميصا لان الادمي يتقمص فيه.[3] وهو ملبوس قديم تدل عليه الآيات في سورة يوسف عليه السلام.

قال النووي: وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم القميص ... وكان كُم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ.[4]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره) قالوا فما أولته يا رسول الله ؟ قال (الدين).[5]

---

[1] – عن عائشة رضي الله عنها قالت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد يوما ألما فأرسل إلى عثمان قالت فسمعته يقول (ان الله سيقمصك قميصا فإن ارادوك على خلعة فلا تخلعه). المعجم الأوسط لابي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين – القاهرة ، 1415هـ (4/ 115)

[2] – لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي – دار صادر – بيروت – ط1 (7/ 82)، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي – مكتبة لبنان – بيروت – 1415 – 1995 تحقيق: محمود خاطر(ص: 560) ومعناه في اللغة الانكليزية shirt.

[3] – الفاظ الازار والرداء والقميص ومدلولاتها من القران والسنة واللغة لوجيه كمال الدين زكي – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة (ص : 30)

[4] – تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (1/ 36)

المطلب الثاني : التعريف بسورة يوسف عليه السلام

سورة يوسف سورة مكية، وهي من قسم المئين وعدد آياتها مائة واحدى عشرة آية وهي السورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف الشريف وقد نزلت بعد سورة هود، وروي أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه السلام فنزلت السورة ، وسميت بسورة يوسف لأنها ذكرت قصة نبي الله يوسف عليه السلام كاملة ولم تذكر قصته في غيرها وقد تكرر ذكر اسمه عليه السلام في السورة اربع وعشرين مرة وذكر مرة واحدة في سورة الانعام ومرة واحدة في سورة غافر.

قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف عليه السلام ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل.[6]

قال ابن عاشور: ان قصة يوسف عليه السلام لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن إجمالا ولا تفصيلا، بخلاف قصص الأنبياء هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام أجمعين إذ كانت معروفة لديهم إجمالا فلذلك كان القرآن مبينا إياها ومفصلا، ونزولها قبل اختلاط النبي صلى الله عليه وسلم باليهود في المدينة معجزة عظيمة من إعلام الله تعالى إياه بعلوم الأولين.[7]

قال الصابوني: سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين في بيت عزيز مصر وفي السجن وفي تآمر النسوة حتى نجاه الله من ذلك الضيق، والمقصود بها تسلية النبي بما مر عليه من الكرب والشدة وما لاقاه من أذى القريب والبعيد.

والسورة الكريمة أسلوب فذ فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصصها الممتع اللطيف، تسري مع النفس سريان الدم في العروق وتجري برقتها وسلاستها في القلب جريان الروح في الجسد، فهي وإن كانت

---

5 – صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري – تحقيق: د. مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – بيروت – ط3 – 1407 – 1987 (6/ 2572) ، صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت (4/ 1859)

6 – تفسير القرطبي لابي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – ط2 – 1384هـ – 1964 م (9/ 118)

7 – التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي – الدار التونسية للنشر – تونس – 1984 هـ (12/ 200-201)

من السور المكية التي تحمل في الغالب طابع الإنذار والتهديد إلا أنها اختلفت عنها في هذا الميدان فجاءت طرية ندية في أسلوب ممتع لطيف سلس رقيق يحمل جو الأنس والرحمة والرأفة والحنان، ولهذا قال خالد بن معدان (سورة يوسف ومريم مما يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة) وقال عطاء (لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها).[8]

قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والأنعام وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسر، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة وتدبير المعاش والصبر على الأذى والحلم والعز والحكم إلى غير ذلك من العجائب.[9] ولأنها تضمنت معاني ودلالات تربوية ودعوية واجتماعية وقانونية واقتصادية.

المبحث الثاني : معاني القميص ومميزاته

المطلب الاول : مميزات القميص في القران الكريم

لقد تميز ذكر القميص في سورة يوسف عليه السلام بمميزات لا يشاركه غيرها من الألبسة التي ذكرت في القران الكريم، وبالإضافة الى ما تقدم فإننا سنذكر هنا بعض المميزات الخاصة به:

1- تعرضت سورة يوسف عليه السلام لذكر القميص الذي كان لباسا لسيدنا يوسف عليه السلام ست مرات في ست آيات، وتوزعت على لفظين الاول بلفظ (قميصه) وتكرر خمس مرات، والثاني بلفظ (بقميصي) وقد ورد مرة واحدة، وجاءت الفاظه مرفوعة ومنصوبة ومخفوضة، ولا يوجد ذكر لأي نوع من الالبسة سوى القميص في هذه السورة، في حين اننا نجد مختلف الألبسة والثياب مذكورة في القران الكريم في غير سورة يوسف؛ وهذا يدل دلالة واضحة على خصوصية قميص يوسف عليه السلام وصرف النظر عن غيره من الألبسة في هذه السورة.

2- ان قمصان يوسف عليه السلام ثلاثة فكان الاول قميص الابتلاء وهو قميصه الذي انتزعه اخوانه منه ولطخوه بالدم الكاذب وقد ذكر في آية واحدة، وكان الثاني قميص البراءة وهو قميصه الذي قدَ من قبل امرأة العزيز وقد ذكر في اربع آيات متتالية، وكان الثالث قميص

---

[8] – صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني – دار القران الكريم – بيروت – 1401هـ (2/ 39)

[9] – زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط1 – 1422 هـ (2/ 413)

الشفاء وهو قميصه الذي ألقي على وجه ابيه يعقوب عليه السلام فردَ الله اليه بصره وقد ذكر في آية واحدة.

3- من الملاحظ ان القميص الثاني تكرر اربع مرات، وفي ذلك اشارة الى ان حفظ الاعراض وصيانة الشرف اكبر من حفظ النفس والعافية، وان البلاء به اشد من البلاء بغيره، ولهذا فان هذا القميص في نظري هو أهم الأقمصة الثلاثة، ولذلك دافع سيدنا يوسف عليه السلام عن نفسه مباشرة وتعزز هذا الدفاع بشاهد من اهلها والله اعلم.

4- ان القميص الاول لم يمزق فكان دليلا على كذبهم، وان القميص الثاني مزق فكان دليلا على براءته عليه السلام، ولو مزق الاول ولم يمزق الثاني لانعكست النتائج وتعقدت الصورة، فسبحان الله القائل {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}الإسراء105.

وقد ذكر الاستاذ حمد المرواني مميزات اخرى لقمصان يوسف عليه السلام منها:

5- إن مفردة (القميص) ورد ذكرها ست مراتٍ في سورةٍ واحدةٍ هي سورة يوسف عليه السلام دون غيرها وهذا ما لم يكن لأي مفردة أخرى إذ لا نجد مفردة في الكتاب العزيز مما يدل على اللباس يرد ذكرها في سورة واحدة بهذا العدد غير مفردة (القميص).

6- ان تصريف مفردة (القميص) كلمةٌ واحدةٌ جاءت في الكتاب العزيز بينما نجد مثلاً من تصريف مفردة (الثوب) كلماتٍ كثيرةً كـ " ثواب - مثوبة - مثابة – ثيّبات ...إلخ ، ومن مفردة (اللباس) كلماتٍ كثيرةً أيضًا كـ تلبسوا - يلبسون ... إلخ.

7- ان القرآن الكريم يذكر القميصين الأول والثالث وهما غير ملبوسين بينما يذكر القميص الثاني وهو ملبوسٌ فكان هذا أبلغ في تسخيره رمزًا دالاً وفعّالاً؛ لأنه - في حادثته - لم يكن ليصلح رمزًا حتى يكون ملبوسًا لصيقًا بجسد لابسه في حادثةٍ تلازم فيها شعور النفس.

8- ان القميص الأول رمز أول ما رمز إلى قضية مهمةٍ هي قضية (عقوق الأبناء للآباء) واشترك معه في هذا المعنى على وجه المقابلة والتضادّ القميص الثالث الذي رمز أول ما رمز إلى قضية (برّ الأبناء بالآباء).[10]

المطلب الثاني : معاني القميص الواردة في سورة يوسف عليه السلام وما يترتب عليه من احكام

---

[10] - نظرة جديدة الى قمصان يوسف عليه السلام للأستاذ حمد المرواني نشر على موقع ملتقى اهل التفسير /http://vb.tafsir.net/tafsir28845

ان دراسة معاني قمصان يوسف عليه السلام الواردة في القران الكريم تظهر لنا دلالات مهمة وسنأتي على بيان ذلك بحسب ورودها في سورة يوسف على التوالي ونبين معانيها وما ترتب على ذلك من آثار واحكام.

القميص الاول :الآية الاولى

قال الله تعالى { وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } يوسف18

وهذا اول موضع يذكر فيه القميص وهو القميص الاول الذي كشف جريمة اخوة يوسف عليه السلام وكذبهم وزيفهم وادعاءهم، والذي اصبح دليلا للفقهاء فيما بعد يبنون عليه مسائلهم الفقهية واحكامهم القضائية في الاستدلال بالقرينة المصاحبة للجريمة لان سيدنا يعقوب عليه السلام استدل ضمنا على كذبهم وسلامة يوسف عليه السلام بسلامة القميص ذاته.

قال الطبري: وسماه الله كذبا لأن الذين جاؤوا بالقميص وهو فيه كذبوا فقالوا ليعقوب هو دم يوسف ولم يكن دمه وإنما كان دم سخلة.[11]

قال الزمخشري فإن قلت (على قميصه) ما محله؟ قلت محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال.[12]

قال ابن عباس: لو أكله الذئب لخرق القميص.[13] ، وقال الحسن: لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم، قال جعل يقلبه فيقول ما عهدت الذئب حليما أكل ابني وأبقى على قميصه.[14]

---

[11] - تفسير الطبري لابي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة – ط1 - 1420 هـ - 2000 م (15/ 579)، والسخلة ولد الشاة من المعز والضأن، ذكرا كان أو أنثى.

[12] - تفسير الزمخشري لجار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري - دار الكتاب العربي – بيروت – ط3 - 1407 هـ (2/ 451)

[13] - تفسير الطبري (15/ 580)

[14] - تفسير الطبري (15/ 581)

قال القاضي: ولعل غرضهم في نزع قميصه عند إلقائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا توكيدا لصدقهم، لأنه يبعد أن يفعلوا ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في المعصية من أن يقرن بهذا الخذلان فلو خرقوه مع لطخه بالدم لكان الإيهام أقوى فلما شاهد يعقوب القميص صحيحا علم كذبهم.[15]

قال سيد قطب: لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة، فلو كانوا أهدأ أعصابا ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى، كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلا على التسرع وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس وهم ينفونها ويكادون يتهكمون بها فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنه كذب، فعلوا هذا وجاؤوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ويحسون أنها مكشوفة ويكاد المريب أن يقول خذوني فيقولون وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.[16]

قال الشعبي: في قميص يوسف ثلاث آيات، حين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا، وحين قدَ من دبر، وحين جاؤوا على قميصه بدم كذب.[17]

وعلى هذا الاساس بنى الفقهاء استدلالهم على القضاء بالقرينة القاطعة، والمراد بالقرينة القاطعة في الاصطلاح ما يدل على ما يطلب الحكم به دلالة واضحة بحيث تصيره في حيز المقطوع به، كما لو ظهر إنسان من دار ومعه سكين في يديه وهو متلوث بالدماء سريع الحركة عليه أثر الخوف فدخل إنسان أو جمع من الناس في ذلك الوقت فوجدوا بها شخصا مذبوحا لذلك الحين وهو متضمخ بدمائه ولم يكن في الدار غير ذلك الرجل الذي وجد على الصفة المذكورة وهو خارج من الدار فإنه يؤخذ به، إذ لا يشك أحد في أنه قاتله واحتمال أنه ذبح نفسه أو أن غير ذلك الرجل قتله ثم تسور الحائط وهرب ونحو ذلك فهو احتمال بعيد لا يلتفت إليه إذ لم ينشأ عن دليل، ولا خلاف بين فقهاء المذاهب في بناء

---

15 – تفسير الرازي لابي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي دار إحياء التراث– (ص: 2498)

16 – في ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي – دار الشروق – بيروت– القاهرة – ط17– 1412 هـ (4/ 1975)

17 – تفسير الطبري (15/ 582)

الحكم على القرينة القاطعة مستدلين بالكتاب والسنة وعمل الصحابة فأما الكتاب فقوله تعالى (وجاءوا على قميصه بدم كذب).[18]

القميص الثاني :الآية الثانية والثالثة والرابعة والخامسة

قال الله تعالى { وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } يوسف25

{ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ } يوسف26

{ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ } يوسف27

{ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ } يوسف28

وهذا هو القميص الثاني الذي كان شاهدا وبرهانا على براءة يوسف عليه السلام من الوقوع في الفتنة كما كان قميصه الاول شاهدا وبرهانا على براءة الذئب من دمه.

قال الطبري: يقول جل ثناؤه واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت، أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجره عنها، وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضي حاجتها منه التي راودته عليها فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبته إليها مانعة له من الخروج من الباب فقدته من دبر يعني شقته من خلف.[19]

وعن ابن إسحاق قال: أشهد إن كان قميصه قد من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وذلك أن الرجل لا

---

[18] - الموسوعة الفقهية الكويتية – ط2 – دار السلاسل – الكويت (1/ 244)

[19] - تفسير الطبري (16/ 50)

يأتي المرأة من دبر، وقال: إنه لا ينبغي أن يكون في الحق إلا ذاك، فلما رأى إطفير[20] قميصه قد من دبر عرف أنه من كيدها فقال (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم).[21]

قال الطبري: وأما قوله (وشهد شاهد من أهلها) فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد، فقال بعضهم كان صبيا في المهد، وقال اخرون إنما عنى بالشاهد القميص المقدود.[22]

قال قتادة: الشاهد من أهلها القميص يقضي بينهما (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين)

وقال مجاهد: في قول الله (وشهد شاهد من أهلها) قميصه مشقوق من دبر فتلك الشهادة.[23]

قال القرطبي: في الآية دليل على القياس والاعتبار والعمل بالعرف والعادة لما ذكر من قد القميص مقبلا ومدبرا، وهذا أمر انفرد به المالكية في كتبهم، وذلك أن القميص إذا جبذ من خلف تمزق من تلك الجهة وإذا جبذ من قدام تمزق من تلك الجهة وهذا هو الأغلب.[24]

لقد اعتبرت الشريعة الإسلامية القرائن والأمارات مؤيدة للادعاء وإن لم تكن في نفسها طريقا كافيا للإثبات كما جاء في قصة يوسف ... فاتهام يوسف عليه السلام واتهام امرأة العزيز بالمراودة فصلت فيه القرائن والأمارات حيث كان شق قميص يوسف من دبره يدل على أنه كان هاربا منها وأنها وراءه متعلقة به آخذة بثوبه حتى انشق من الخلف، فكان هذا كافيا للعزيز في تبرئة يوسف من الاتهام والحكم على امرأة العزيز بالمراودة.[25]

قال الشنقيطي: يفهم من هذه الآية لزوم الحكم بالقرينة الواضحة الدالة على صدق أحد الخصمين وكذب الآخر؛ لأن ذكر الله لهذه القصة في معرض تسليم الاستدلال بتلك القرينة على براءة يوسف

---

[20] – اسمه إطفير بن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر. تفسير الطبري (15/ 17)

[21] – تفسير الطبري (16/ 59)

[22] – تفسير الطبري (16/ 53، 58)

[23] – تفسير الطبري (16/ 58)

[24] – تفسير القرطبي (9/ 171)

[25]- مجلة البحوث الإسلامية صادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية (7/ 293-294)

يدل على أن الحكم بمثل ذلك حق وصواب لأن كون القميص مشقوقا من جهة دبره دليل واضح على أنه هارب عنها وهي تنوشه من خلفه، ولكنه تعالى بين في موضع آخر أن محل العمل بالقرينة ما لم تعارضها قرينة أقوى منها، فإن عارضتها قرينة أقوى منها أبطلتها وذلك في قوله تعالى { وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل } لأن أولاد يعقوب لما جعلوا يوسف في غيابة الجب، جعلوا على قميصه دم سخلة ليكون وجود الدم على قميصه قرينة على صدقهم في دعواهم أنه أكله الذئب، ولا شك أن الدم قرينة على افتراس الذئب له ولكن يعقوب أبطل قرينتهم هذه بقرينة أقوى منها وهي عدم شق القميص فقال سبحان الله! متى كان الذئب حليما كيسا يقتل يوسف ولا يشق قميصه ولذا صرح بتكذيبه لهم في قوله {بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} وهذه الآيات المذكورة أصل في الحكم بالقرائن.[26]

وقال ابن القيم: فنتوصل بقد القميص إلى تمييز الصادق منهما من الكاذب وهو لوث في أحد المتنازعين يبين به أولاهما بالحق.[27]

القميص الثالث :الآية السادسة

قال الله تعالى { اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ } يوسف93

هذا هو القميص الثالث الذي يحمل البشارة لسيدنا يعقوب بان يوسف عليه السلام حي وان اجتماعهما بات قريبا، وهو يحمل التذكير والتنبيه لإخوته عسى ان يعجلوا بتوبتهم ويستغفروا ربهم، وفيه اشارة الى ان هذا القميص ما هو الا جندي من جنود الحق تبارك وتعالى يحمل في طياته البشارة والشفاء والفرج والتمكين، وهو نفسه الذي استدل به الفقهاء على جواز عقد الوكالة كما سيأتي.

قال ابن عاشور: وقوله (اذهبوا بقميصي هذا) يدل على أنه أعطاهم قميصا فلعله جعل قميصه علامة لأبيه على حياته، ولعل ذلك كان مصطلحا عليه بينهما، وكان للعائلات في النظام القديم علامات

---

[26] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) – دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت – لبنان – 1415 هـ– 1995م (2/ 216)

[27] – الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية تحقيق: د. محمد جميل غازي – مطبعة المدني – القاهرة (ص: 7)

يصطلحون عليها ويحتفظون بها لتكون وسائل للتعارف بينهم عند الفتن والاغتراب إذ كانت تعتريهم حوادث الفقد والفراق بالغزو والغارات وقطع الطريق، وتلك العلامات من لباس ومن كلمات يتعارفون بها وهي الشعار، ومن علامات في البدن وشامات.

وفائدة إرساله إلى أبيه القميص أن يثق أبوه بحياته ووجوده في مصر، فلا يظن الدعوة إلى قدومه مكيدة من ملك مصر، ولقصد تعجيل المسرة له.

والأظهر أنه جعل إرسال قميصه علامة على صدق إخوته فيما يبلغونه إلى أبيهم من أمر يوسف عليه السلام بجلبه فإن قمصان الملوك والكبراء تنسج إليهم خصيصا ولا توجد أمثالها عند الناس وكان الملوك يخلعونها على خاصتهم، فجعل يوسف عليه السلام إرسال قميصه علامة لأبيه على صدق إخوته أنهم جاءوا من عند يوسف عليه السلام بخبر صدق.[28]

وعن السدي قال: قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي فأفرحه كما أحزنته فهو كان البشير.[29]

قال مجاهد: كان يوسف أعلم بالله من أن يعلم أن قميصه يرد على يعقوب بصره، ولكن ذلك قميص إبراهيم الذي ألبسه الله في النار من حرير الجنة وكان كساه إسحاق وكان إسحاق كساه يعقوب وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قصبة من فضة وعلقه في عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك فإن فيه ريح الجنة وإن ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي.[30]

قال ابن عاشور: ومن البعيد ما قيل إن القميص كان قميص إبراهيم عليه السلام مع أن قميص يوسف قد جاء به إخوته إلى أبيهم حين جاءوا عليه بدم كذب.

وأما إلقاء القميص على وجه أبيه فلقصد المفاجأة بالبشرى لأنه كان لا يبصر من بعيد فلا يتبين رفعة القميص إلا من قرب.

---

[28] - التحرير والتنوير (13/ 50-51)

[29] - تفسير الطبري (16/ 259)

[30] - تفسير القرطبي (9/ 258)

وأما كونه يصير بصيرا فحصل ليوسف عليه السلام بالوحي فبشرهم به من ذلك الحين ولعل يوسف عليه السلام نبيء ساعتئذ، وأدمج الأمر بالإتيان بأبيه في ضمن تبشيره بوجوده إدماجا بليغا إذ قال: يأت بصيرا.[31]

وقد استدل الفقهاء على جواز عقد الوكالة بناءا على قميص يوسف عليه السلام هذا، قال القرطبي: الوكالة عقد نيابة أذن الله سبحانه فيه للحاجة إليه وقيام المصلحة في ذلك، إذ ليس كل أحد يقدر على تناول أموره إلا بمعونة من غيره أو يترفه فيستنيب من يريحه، وقد استدل علماؤنا على صحتها بآيات من الكتاب منها قوله تعالى (اذهبوا بقميصي هذا).[32]

المطلب الثالث : الملابس الاخرى الواردة في القران الكريم

لقد وردت اسماء للملابس كثيرة غير القميص في القران الكريم وذكرت اوصاف لها ومنها ملابس في السلم وفي الحرب وفي البرد والحر وفي الدنيا والاخرة وملابس اهل الجنة واهل النار ومن ذلك:

الثياب : ثاب الرجل يثوب ثوبا وثوبانا رجع بعد ذهابه.[33] وسميت الثياب ثيابا لأنه يثاب إليها أي يرجع اليها وقت اللبس والنزع، قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء }النور58

وقال تعالى في وصف ثياب اهل الجنة {أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً }الكهف31

وقال تعالى في وصف ثياب اهل النار {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ }الحج19

---

[31] – التحرير والتنوير (13/ 51)

[32] – تفسير القرطبي (10/ 376)

[33] – لسان العرب (1/ 243)

اللباس : يدل على مخالطة ومداخلة من ذلك لبست الثوب ألبسه واللبس اختلاط الأمر.[34]

قال تعالى وهو يذكر الانسان بنعمة اللباس في الدنيا ويدعوه الى لباس افضل في الاخرة {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ }الأعراف26

وقال تعالى وهو يحذر بني ادم من فتنة الشيطان {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا}الأعراف27

اللبوس : كل ما يلبس من ثياب ودرع،[35] وهو ملابس الحرب وردت صناعتها مقرونة مع نبي الله داود قال تعالى {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ }الأنبياء80

الكسوة : اللباس واحدة الكسا يقال كسوت فلانا أكسوه كسوة إذا ألبسته ثوبا.[36] قال تعالى {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}المائدة89

السرابيل : السربال القميص والدرع وقيل كل ما لبس فهو سربال ويجمع على سرابيل وتطلق السرابيل على الدروع وقيل في قوله تعالى (سرابيل تقيكم الحر) إنها القمص تقي الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر كأن ما وقى الحر وقى البرد وأما قوله تعالى (وسرابيل تقيكم بأسكم) فهي الدروع.[37] قال تعالى {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ }النحل81 وقال تعالى في وصف لباس اهل النار {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ }إبراهيم50

الجيب : جيب القميص والدرع والجمع جيوب وفي التنزيل العزيز { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}النور31.[38] وقال تعالى {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ }النمل12

الريش : لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته.[39] وقال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ }الأعراف26

---

34 – معجم مقاييس اللغة لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – 1399هـ – 1979م. (5/ 230)

35 – معجم مقاييس اللغة (5/ 230)

36 – لسان العرب (15/ 223)

37 – لسان العرب (11/ 335)

38 – لسان العرب (1/ 288)

39 – تفسير الزمخشري (2/ 97)

الخمار : كل ما ستر ومنه خمار المرأة وهو ثوب تغطي به رأسها.[40] وقال تعالى {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}النور31

الجلباب : هو الخمار وقيل جلباب المرأة ملاءتها التي تشتمل بها واحدها جلباب والجماعة جلابيب.[41] قال تعالى{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }الأحزاب59

الحرير : وهو الخيوط الطبيعية التي تنتجها دودة القز،قال تعالى وهو يصف لباس اهل الجنة {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ }فاطر33

السندس : رقيق الديباج ورفيعه.[42] قال تعالى {يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ }الدخان53

الاستبرق : هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن.[43] قال تعالى {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ }الرحمن54

العبقري : وعبقر قرية باليمن توشى فيها الثياب والبسط فثيابها أجود الثياب فصارت مثلا لكل منسوب إلى شيء رفيع فكلما بالغوا في نعت شيء متناه نسبوه إليه.[44] قال تعالى {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ }الرحمن76

المبحث الثالث : شبهات حول القميص

المطلب الاول : قصة قميص يوسف عليه السلام عند اهل الكتاب

ذكرت التوراة في سفر التكوين قميص يوسف عليه السلام الذي جاؤوا به اخوة يوسف الى ابيهم، وكذلك ذكرت ثوبه مع امرأة العزيز، ولا يوجد ذكر في التوراة للقميص الثالث الذي ارسله يوسف عليه السلام الى ابيه كي يشفى.

فأما القميص الاول كما جاء في سفر التكوين فهو:

---

40 – المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات. حامد عبد القادر . محمد النجار – تحقيق: مجمع اللغة العربية – دار الدعوة (1/ 255)

41 – لسان العرب (1/ 272)

42 – لسان العرب (6/ 107)

43 – لسان العرب (10/ 5)

44 – لسان العرب (4/ 534)

وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته، فصنع له قميصا ملونا.[سفر التكوين 37: 3]

فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه، القميص الملون الذي عليه. [سفر التكوين 37: 23]

فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسا من المعزى وغمسوا القميص في الدم.[سفر التكوين 37: 31]، وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم وقالوا: وجدنا هذا حقق أقميص ابنك هو أم لا ؟[سفر التكوين 37: 32]، فتحققه وقال: قميص ابني وحش رديء أكله افترس يوسف افتراسا [سفر التكوين 37: 33].

وهنا نجد التوراة تصف سيدنا يعقوب بالضعف والجزع وعدم الفطنة، وحاشا الانبياء من ذلك كله، بينما يصف القران الكريم سيدنا يعقوب عليه السلام هنا بأوصاف الحكمة والحلم والصبر والتوكل على الله مع محاسبة الابناء وتربيتهم وكلها اوصاف تليق بالنبوة.

واما القميص الثاني كما جاء في سفر التكوين: فأمسكت بثوبه قائلة ضاجعني. فترك رداءه بيدها وفر هاربا إلى الخارج. فلما رأت أنه قد ترك رداءه وهرب خارجاً. صاحت بأهل بيتها وقالت لهم انظروا كيف جاءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا، أتاني ليضاجعني فصرخت بصوت عال. فلما سمعني قد رفعت صوتي وصرخت ترك رداءه بجانبي وفر هاربا إلى الخارج. ووضعت رداءه بجانبها حتى قدم مولاه إلى بيته. [سفر التكوين 39: 12- 16].

والقران الكريم يذكر بان امرأة العزيز قدت قميص يوسف عليه السلام من دبر، وقدت أي شقت، واما في التوراة فالقميص تأخذه المرأة، وعندما اخذت امرأة العزيز الثوب _ على رواية التوراة _ فان ذلك يعني ان يوسف بقي بغير لباس، وهنا سؤال يفرض نفسه وهو: كيف استطاعت امرأة العزيز اخذ الثوب من يوسف عليه السلام الرافض لدعوتها ؟ واي نوع هذا من الاثواب حتى ينزع بهذه السهولة من على جسد رجل قوي مكين ؟

واما القميص الثالث فان التوراة لم تذكره، ذلك قميص الشفاء الذي القي على ابيه يعقوب عليه السلام فارتد بصيرا، بمعجزة من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،والقرآن الكريم قص علينا حالة يعقوب عليه السلام وهو يشم رائحة يوسف عليه السلام ومدى معرفته وقدرته على التمييز قال تعالى { وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ }يوسف94، أما التوراة فقد صورت يعقوب عليه السلام بالمصدوم المغشي عليه اليائس من الحياةحين سمعبأمر يوسف عليه السلام، كما

جاء في سفر التكوين: فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان. إلى يعقوب أبيهم. وأخبروه قائلين يوسف حي بعد، وهو متسلط على كل أرض مصر. فجمد قلبه لأنه لم يصدقهم. ثم كلموه بكل كلام يوسف الذي كلمهم به، وأبصر العجلات التي أرسلها يوسف لتحمله. فعاشت روح يعقوب أبيهم. فقال إسرائيل: كفى يوسف ابني حي بعد. أذهب وأراه قبل أن أموت. [سفر التكوين 45: 25، 28]. وشتان ما بين ما تقدم من التوراة وبين أسلوب القرآن الكريم وبضدها تتميز الأشياء.

المطلب الثاني : رد بعض الشبهات على قصة القميص

ما زال اعداء الاسلام يثيرون الشبهات حول القران او السنة، ويحاول اصحاب هذه الشبهات اثارتها اليوم بثوب جديد بعد أن يضيفوا عليها طابعا علميا زائفا.

الشبهة الاولى: طعن بعض اهل الكتاب بما جاء في القران الكريم بخصوص ذكر قميص يوسف عليه السلام الثالث الذي أمر إخوانه أن يلقوه على وجه أبيه ليرتد بصيرا، بحجة استبعاد ذلك، مع ان الذي ذكره القران الكريم يعد معجزة من معجزات الانبياء لا ينكرها أهل الاديان، لان المعجزات خاضعة لقدرة الله وحده عز وجل الذي يقول للشيء كن فيكون، وما كان القميص الا أداة لتحقيق المعجزة الالهية قال تعالى { اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ{93} وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ{94} قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ{95} فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ{96}يوسف.

وقد ذكر كتاب شبهات المشككين هذه الشبهة في تسلسل (رقم 96) ثم رد عليها بما نصه (إن التوراة مصرحة بعمى يعقوب وأنه سيبصر إذا وضع يوسف يده على عينيه ذلك قوله: أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك [سفر التكوين 46: 4] هذه ترجمة البروتستانت. وفى ترجمة الكتاب المقدس بلبنان: أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك منها. ويوسف هو يغمض عينيك ساعة تموت. فيكون النص في عدم العمى صراحة في هذه الترجمة.

واتفقت التراجم على ضعف بصر يعقوب: "وكانت عينا يعقوب كليلتين من الشيخوخة، ولم يكن يقدر أن يبصر" [سفر التكوين 48: 10].

واستبعاد شفاء يعقوب برؤية القميص لا محل له، وذلك لأن في التوراة من هذا كثير فنبي الله اليسع عليه السلام لما مات ودفنوه في قبره دفنوا معه بعد مدة ميتاً فلما مست عظامه عظام اليسع ردت إليه روحه وهذا أشد في المشابهة من قميص يعقوب، ففي الإصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الثاني: ومات

اليشع فدفنوه. وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة ، وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة، فطرحوا الرجل في قبر اليشع. فلما نزل الرجل ومسَّ عظام اليشع، عاش وقام على رجليه [سفر الملوك الثاني 13: 2120].[45]

الشبهة الثانية: وهناك من اقرّ بوجود العمى لسيدنا يعقوب عليه السلام المذكور في قوله تعالى { وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }يوسف84 الا انه عدَ ذلك نتيجة لصدمة نفسية أي أن السبب نفسي وليس عضوي كما يقول بمعنى انه لم يكن هناك في العين خلل، وعندما انتفى السبب رجع البصر اليه.[46]

والجواب عن هذه الشبهة ان هذا يتضمن انكارا للمعجزة وتكلفا واضحا فضلا عن انه لا يخلو من الوقاحة والجرأة على مقام الانبياء الذين جعلهم الله اطباء للناس فكيف نتهمهم بالصدمة النفسية، ولئن نجد مثل هذه الاطاريح من الليبراليين والعلمانيين فليس بشيء الا اننا لنعجب اشد العجب انها تصدر من مسلم يعمل في حقل الاعجاز العلمي، ولو كان هذا الكلام صحيحا للزم منه ان كل من يفقد ذويه واصابه بسبب ذلك الفقد مرض ثم وجدهم بعد ذلك فان ذلك الايجاد كفيل بان يرد عليه عافيته التي سلبت بسبب فقدهم، وهذا ليس بصحيح ولم يقل به احد من العقلاء وليس له شواهد من الواقع، وعليه فان يعقوب عليه السلام اصابه العمى الذي هو فقد البصر حقيقة وهو عارض بشري طبيعي يصيب الانسان عند كبر سنه، ورافقه زيادة حزنه على فقد ابنه يوسف عليه السلام، وبمعجزة من الله عز وجل اوحى بهاالى ابنه يوسف عليه السلام من خلال سر القاه الله عز وجل في قميصه ليردَ الله عز وجل بصر يعقوب عليه السلام.

ويحسن التنبيه في هذا المقام بان بياض عيني سيدنا يعقوب عليه السلام لم يكن منفرا؛ لانه أمر مقبول عرفا بالنسبة لسن الشيخوخة، قال تعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ }الكهف110، وقال تعالى { قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً }الإسراء93 ، ولان نبوته عليه السلام باتت معروفة وهو محل عقيدة الناس الذين امنوا به.

الشبهة الثالثة: كيف استطاع سيدنا يعقوب عليه السلام تمييز رائحة قميص ابنه يوسف عليه السلام رغم بعد المسافة بينهما ؟

---

45 – شبهات المشككين صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الاوقاف المصرية (ص: 44)

46 – مقال بعنوان ذاكرة الروائح لعبد الدائم الكحيل على موقعه
http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-17-58/1114-2013-03-26-23-15-47

لقد حاول بعض الناس الاجابة عن هذا السؤال بطريقة الدفاع التي اوصلتهم الى التكلف البعيد من خلال إضفاء الجانب العلمي الحديث على هذه المسألة على اساس ان لكل انسان بصمة وان انف الإنسان يقدر ان يلتقط الإشارات الكيميائية البعيدة الصادرة عن أشخاص آخرين من خلال الخلايا العصبية المرتبطة بالدماغ، وعليه فإن سيدنا يعقوب عليه السلام استطاع تذكر رائحة يوسف عليه السلام الذي مضى على غيابه عشرات السنين من مسافة طويلة.[47]

والجواب عنها بان سيدنا يعقوب عليه السلام نبي، وان الله اعطى الانبياء معجزات كثيرة وهل المعجزة الا امر خارق للعادة، فعلام الاستغراب والتشكيك في ذلك؟ وعلام هذا التكلف في اقحام الامور العلمية العصرية الذي يؤدي الى إفراغ المعجزة من محتواها العقائدي والشرعي والواقعي؟ واذا كان هذا هو عمل الخلايا العصبية والإشارات الكيميائية فلماذا لم تعمل هذه الخلايا مع اخوة يوسف عليه السلام الذين انكروا على ابيهم ذلك؟ كما قصَ القران الكريم ذلك {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ{94} قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ{95}يوسف.

قال عبد الله بن أبي الهذيل سمعت ابن عباس يقول: وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال، قال فقلت في نفسي هذا كمكان البصرة من الكوفة.[48]

وكما أن رد بصر يعقوب عليه السلام بالقميص معجزة، فكذلك شمه لريح يوسف عليه السلام على بعد معجزة يجب التصديق بها من غير بحث عن العلة والكيفية التي هي مسلك الماديين.

المطلب الثالث : التكلف في إدعاء الاعجاز العلمي الحديث في قصة القميص

انتشرت على صفحات الانترنت ومنتدياته ان هناك عالما مسلما يدعى الدكتور عبد الباسط محمد سيد الباحث بالمركز القومي للبحوث التابع لوزارة البحث العلمي والتكنولوجيا بجمهورية مصر العربية قد حصل على براءتي اختراع الاولى براءة الاختراع الاوربية عام 1991م والثانية براءة الاختراع الامريكية 1993م وذلك بعد ان قام بتصنيع قطرة عيون لمعالجة المياه البيضاء استلهاما من نصوص سورة يوسف عليه السلام اثر تساؤله: يا ترى ما الذي يمكن ان يوجد في قميص يوسف حتى يحدث ذلك الشفاء

---

[47] - مقال بعنوان ذاكرة الروائح لعبد الدائم الكحيل على موقعه
http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-17-58/1114-2013-03-26-23-15-47

[48] - تفسير الطبري (16/ 250)

وعودة البصر الى ما كان عليه ومع الايمان بان القصة تحكي معجزة من الله على يد سيدنا يوسف عليه السلام الا ان هناك بجانب المغزى الروحي الذي تفيده القصة مغزى أخر ماديا يمكن ان يوصلنا اليه البحث تدليلا على صدق القران الذي نقل الينا القصة كما وقعت احداثها في وقتها، قال: واخذت ابحث حتى هداني الله الى ذلك البحث بان هناك علاقة بين الحزن والاصابة بالمياه البيضاء حيث ان الحزن يسبب زيادة هرمون الادرينالين وبالتالي فان الحزن الشديد او الفرح الشديد يسبب بدوره زيادة سكر الدم وهو احد مسببات العتامة، وبعد التفكير لم اجد سوى العرق. انتهى باختصار.[49]

وهذا تكلف واضح لا يختلف كثيرا عن الشبهة الثانية والثالثة التي ذكرناها في المطلب الثاني من هذا المبحث، وفيه إقحام للقران الكريم في غير محله، اذ لو كان للعرق هذه الخاصية لرأينا الشفاء حاصل لكل من اصابه العمى، ثم ان القميص قد حمل من مصر الى فلسطين فكيف يعقل بقاء العرق فيه كل هذه المسافة؟ لذا كان لا بد للمؤمن من التصديق بان الذي حصل بين يعقوب ويوسف عليهما السلام ما هو الا معجزة ربانية خارقة لكل القوانين الحياتية والقواعد الطبية.

وقد رد بعض الاطباء الاخصائيين على هذا الكلام ردا علميا وانه يستحيل العلاج بالعرق الذي يعتبر من السموم التي يفرزها الجسم فكيف يتم ارجاعها اليه ومنهم الدكتور محمد السقا عيد الإستشاريفي أمراض العيون في مقالة بعنوان: القطرة القرآنية أو قطرة العرق اختراع جديد هللت له الصحف العربية فما هي حقيقة هذه القطرة ؟ هل هي فرقعة صحفية أم حقيقة واقعة ؟

خاتمة :

نحمد الله عز وجل ونشكره ان منَ علينا إكمال هذه المباحث المتعلقة بقميص سيدنا يوسف عليه السلام وهذه اهم النتائج التي توصلنا اليها:

1- ان الباحث في الفاظ القران الكريم يدرك ويستشعر قوله تعالى {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}الإسراء105؛ لان كل كلمة في القرن الكريم بل ان كل حرف فيه قد وضع بحكمة متناهية ومعجزة.

---

[49] – المجلة العربية العدد رقم (224) السنة العشرين إصدار رمضان 1416هـ – فبراير 1996 المملكة العربية السعودية بعنوان : براءة اختراع دولية لأول قطرة عيون قرآنية

2- ان كل قميص من قمصان يوسف المذكورة في القران الكريم يقوم بوظيفة خاصة به لا يصلح غيره للقيام بها فسبحان من وضع كل شيء في مكانه وجعل كل شيء عنده بمقدار.

3- ان اهم القمصان الثلاثة هو قميص البراءة لأنه يتعلق بالشرف؛ ولهذا اخذ مساحة لفظية اكثر في القران الكريم.

4- ان ذكر القميص في القران الكريم له خصوصية تختلف عن ذكر غيره من الألبسة والأثواب.

5- ان للقميص في القصة القرآنية دلالات تجعلنا ندرك ان القصة القرآنية اكبر من وصفها بانها سرد لحدث تاريخي، لان كل لفظة فيها تصلح للدراسة الدلالية لما فيها من اسرار وعجائب.

6- ان القران الكريم كلام الله عز وجل وان معجزة القران مستمرة الى يوم الدين مهما حاول اعداءه من اليهود او النصارى او الماديين التشكيك به.

7- ان مقارنة بسيطة بين الكتب السابقة وبين القران الكريم تصل بالمنصف الى التمييز بين كلام الله عز وجل وبين كلام البشر، وقد ظهر ذلك جليا في المقارنة بين قميص يوسف عليه السلام في التوراة والقران الكريم.

8- لا يجوز إقحام النظريات العلمية على نصوص القران الكريم وتسويقها على انها اعجاز علمي.

المصادر

1- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان - 1415 هـ- 1995 م

2- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي - الدار التونسية للنشر - تونس - 1984 هـ

3- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية تحقيق: د. محمد جميل غازي - مطبعة المدني – القاهرة

4- الفاظ الازار والرداء والقميص ومدلولاتها من القران والسنة واللغة لوجيه كمال الدين زكي - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

5- المعجم الأوسط لابي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني - دار الحرمين - القاهرة ، 1415هـ

6- المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار - تحقيق: مجمع اللغة العربية - دار الدعوة

7- الموسوعة الفقهية الكويتية - ط2 - دار السلاسل - الكويت

8- تفسير الرازي لابي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي دار إحياء التراث

9- تفسير الزمخشري لجار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري - دار الكتاب العربي – بيروت - ط3 - 1407 هـ

10- تفسير الطبري لابي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط1 - 1420 هـ - 2000 م

11- تفسير القرطبي لابي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة - ط2 - 1384هـ - 1964 م

12- تهذيب الأسماء واللغات لأبى زكريا محيي الدين بن شرف النووي - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

13- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت- ط1 - 1422 هـ

14- شبهات المشككين صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الاوقاف المصرية

15- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - بيروت - ط3 - 1407 - 1987

16- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي – بيروت

17- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني - دار القران الكريم - بيروت - 1401هـ

18- في ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي - دار الشروق - بيروت- القاهرة - ط17- 1412 هـ

19- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي - دار صادر - بيروت - ط1

20- مجلة البحوث الإسلامية صادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية

21- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مكتبة لبنان - بيروت - 1415 - 1995 تحقيق: محمود خاطر

22- معجم مقاييس اللغة لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - 1399هـ - 1979م

23- المجلة العربية العدد رقم (224) السنة العشرين إصدار رمضان 1416هـ - فبراير 1996 المملكة العربية السعودية

24- موقع ملتقى اهل التفسير http://vb.tafsir.net/tafsir28845/

25-موقع عبد الدائم الكحيل

http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-17-58/1114-2013-03-26-23-15-47